

## نافذة

## اعرف عدوك

همسة أودعها مسامع أبناء العرب أفراداً ومجتمعات واقتصاديين، ساسة وعسكرياً ومدنيين، أقول فيها: على الرغم من مقاومة الشديدة للفكر الاستعماري الأوروبي القديم الحديث وبشكل خاص البريطاني منه، وحداثة الفكر الاستعماري الأميركي وخطورة الفكر السياسي المنتشر منهم وكنهه العميق الذي درسته للخاصة من الساسة حول آليات السيطرة على العالم وحكمه، أجد فكري يتوقف ملياً، ويهتم بتفكيرهم ونظراتهم الواقعية للأحداث، وتقديمهم للحلول وعلاج المشكلات، والأمور التي تعترض مسيرة وجودهم وتدخلهم الدائم بالسمر والعلن في ابتكار نظم السيطرة على أمم عالم الجنوب، بشكل خاص، حتى وإن كانت على حساب شعوبهم التي منعوها من التنسيب، وخير مثال لنا منحهم الجائر للصهيونية اليهودية أرض فلسطين للخلاص من فكرهم الشرير الذي طغى في أوروبا، من خلال وعد بلفور واحتفالهم بصلف في لندن بهذا العطاء الذي هو من دون وجه حق بعد مئة عام.

لماذا قلت إنني مهتم؟ لأنهم الوحيدون في العالم الذين لا يملكون أصدقاء دائمين، ولا أعداء مستمرين، ولم يستعمروا عبر التاريخ، بل استعمروا من خلال إيمانهم فقط بأن المصالح وحدها تدوم، عقيدة لم تحد بريطانيا عنها أبداً. ففي الحرب العالمية الثانية نعمت روسيا ومدتها بالمال والسلاح، إلى أن حملت ألمانيا النازية، وعادت لتسهم في بناء ألمانيا وبكامل القوى، والغاية تحطيم روسيا من جديد.

مرة ثانية وكعربي أومن بعروبي وقوميتي وبتاريخي وانتصاري لهذه القيم، لا يمكن أن أحيد عنه، أؤكد كفاحي المطلق لفكرهم الخبيث المجلد بأفضل وسائل الخداع الفكري والبصري، الذي من خلفه قدم أشيع صنوف الذل والأذى والاضطهاد، وعلى أياديهم ومن جراء أفكارهم التي وزعوها في أوروبا الغربية، ونقلوها إلى الأميركي، ليمارس على شعبنا العربي وشعوب العالم المستضعفة يرادتها أو من دونها.

أقول: إنه من الواجب وأكثر من ضروري، أن نسلك طريق أفكارهم، ونسير في ركابها، فهم غنوا الفكر الصهيوني، وحموه، وانتزعوها له فلسطين العربية، واقتلعوا أصحاب الأرض العرب الأفتاح، ليحل محلهم الصهاينة، الذين استفادوا إلى أقصى مدى من ذلك الفكر المؤسس لهم، وتوسعوا مما يحمله على حساب دول محيطة بفلسطين؛ أي استثمروا الأفكار في تعزيز لغة العدوان، وجعله شعاراً لهم، فكيف بنا لا نستفيد أيضاً من ذلك العدوان، كيف بنا حتى اللحظة، لم نصل إلى معرفة عدونا المباشر وأعدائنا غير المباشرين، وهم الأخطر؟ فإن لم تحارب عدوك بسلاحه فمؤكد أنه منتصر عليك.

اعرف عدوك، ومنه أقول: إن خوض الحروب يحتاج إلى أسلحة، لكن الفوز فيها يحتاج إلى العقول، كم أنشدوا لو أن ساستنا يدركون حقيقة جوهر الأمور، وأجد أن ندرتهم وصلت إليها، وربما حوربت بسبب ما وصلت إليه، وأن يحدثوا تغييراً جوهرياً في الأساليب العميقة المتبعة في حركة بناء شعوبهم ودولهم، فالشعوب العربية ذكية جداً، إلا أنها تحتاج إلى توجيه نكاتها باتجاه كيفية حقيقية للتعامل مع أعدائها بعد تعريفهم وتوصيفهم فكرياً وعلمياً بدقة، لأن تحقيق المطالب والانتزاع والسياسة أفضل صفحات الذل والعار من تاريخنا القريب والبعيد، لا يتم بالفكر الأتاني، والصراخ والويل والنقد الفارغ والخوف من المصطلحات التي لم تحسن التعامل معها، وبدلاً من فرمها والرد عليها علمياً وفكرياً وعملياً، بادلتها بالخوف منها ومعاداتها ومقاومتها، من دون تحليلها وتكديسها، واعتبرناها عدواً يحكم جهلنا لها، والإنسان عدو ما يجهل، إلى أن يعلم، وإذا بقي كذلك ظل ضعيفاً وذليلاً.

اعرف عدوك، دعوة فكرية للذهاب إلى استيعاب أسباب أي عدوان قائم أو يقوم على فرد أو مجتمع أو دولة، وهذا لا يكون إلا باتسالك الفلسفة الفكرية التي تمنح فرصة كبيرة لفهم ثقافة العدو وولسسته والليات إنشائه أدواته، ومهما أيضاً يجري تحصين البنى التحتية بالتقابل، وبشكل خاص أفضل مما يفعله من تحصين للشعب، واستنهاض قواه، وضع جملة العلوم المستمترمة بدقة عند العدو.

يحزنني كثيراً، كما أجزم أنه يحزن الآخرين، أن أرى أممنا العربية يتأهبها الغرب والشرق، وأنها وحتى اللحظة التي أخط بها هذه الفدرات تحت عنواننا، نتابع أن الشمال برمته هو صاحب الحلول لصغارنا وكبارنا أزماتنا، وأجد تدخل في اختلاف الآوة، وعلى شروط بناء مجتمعاتنا، وحتى في سياساتنا، وصولاً إلى النزاعات الداخلية، يطور المشاحنات بين دولنا، وحتى الحرب، ومن ثم بغرض حلولة، ويبدو أننا لم ندرك أنه سبب أي خلاف أو مشكلة، تنشأ أو تظهر، أو تسود، ونحن بدل أن نتجه لحلها مباشرة، ننظر نظورها، ما يسمح بنا بالعودة لخطها، بعد استنجاننا بهم، وبدوننا بكمهم، كيف بنا نفلع ذلك؟ وهذا إن دل فإنما يدل على أن العدو الأول لوجودنا موجود في داخلنا، الأ وهو الجهل الملك الاستثنائي لفهمه العدو، ما يسمح بظهور الأعداء علينا ظاهراً أو باطناً، سواء أكان العدو بيننا أم على الحدود، ومع كل هذا سنعرض الاعتداءات التي بدأت على هذه الأمة منذ عام ١٩١٦، والمخطط التقسيمي الذي أنجزه سايكس وبيكو، وبعده وعد بلفور البريطاني ١٩١٧، وما جرى أيضاً بعده من انتدابيات استعمارية فرنسية بريطانية منذ عام ١٩٢٠، وحرب السويس، أي العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، وحرب النكسة عام ١٩٦٧، وحرب تشرين على العدوان التي حقق العرب فيها انتصاراً مهماً عام ١٩٧٣، وعدوان عام ١٩٨٢ على لبنان، وغزو الكويت من العراق عام ١٩٩٠، وصولاً إلى تحرير جنوب لبنان عام ٢٠٠٠، وبقاء جزء منه محتلاً، وحرب تموز عام ٢٠٠٦، وحرب غزة عام ٢٠٠٨، والعدوان الكبير على مجموعة دول عربية تحت مسمى الربيع العربي الذي بدأ منذ ٢٠١١، وأهمها على سورية عام ٢٠١١، وحتى اللحظة، وهو مستمر، وإن كان ضعف بشكل كبير، أي إنه أخفق بشكل ذريع بعد أن قامت الدول الوظيفية بدفع مئات المليارات لتمديد دول شقيقة لها، لأنها تقدمت إلى الأمام، ما أدى إلى كشف تخلفها، ومن ثم تبعيتها، ولم تحصص سوى الخبايا التي سعت للحصول على زعامات أو سيطرة على العالين العربي والإسلامي باسم الدين الإسلامي، للأسف استخدموا فكرة السنينة والبسوها ثوب الوهاية والإخوانية، ولهبوا على أوقافها، ومن ثم أسأوا لهذه الفكرة الموجودة بين مجموع الأفكار، وذهبوا إلى التعاون مع العدو، من دون فهم أن هذا العدو هو عدو حقيقي لهم.

اعرف عدوك، قضية أفرها أمام منظومة العدادات التي وللأسف، المفكرون العرب لم يقروا يوماً أن يصلوا إلى هذا العنوان، بل كانوا مفكرين عاملين على شيطنة الفكر العربي والإسلامي لمصلحة العدو وتعويق جهورها، فلم يأخذوا مصطلح العدو والقومية والأخوة العربية، لا الأخوة الإسلامية، وسعى سوادهم بالعمل الفردي لتعزير الفردية والبحث عن الجوائز الغربية، وسواد مفكري العرب إما ناقلون لفكر الغرب أو الشرق، وإما ناقدون أو مقتبسون أو إسلاميون خبثاء، يجهدون وراء المادة والظهور بين دون وجه حق.

ليعطيني أي كان، مفكراً عربياً واحداً أهتمّ بصدق بالدين الإسلامي بشكله السمع، وعمل أيضاً لقضية العربية، أو مسألة القومية، أو حتى العثمانية التي تطور بها شعوبنا، أين هم؟ وهل الخطأ من السياسات العربية التي عملت فريداً على استقطاب مدعي الفكر الوصلي وتنصيبهم في المقامات العليا، ومن ثم خذلوها، وانكفروا منتظرين إلى أين ستؤول الأمور؟

أقف هنا، ولا أنشد من كل ما قدمته إلا معرفة العدو، بل الأعداء الحقيقيين بغاية الانتصار لهذه الأمة شعباً وأوطاناً.

## د. نبيل طعمة

## في حفل تأبين العلامة عفيف بهنسي

## وزير الثقافة: كان رجلاً موسوعياً ولم يعرف ترف التفرغ للبحث العلمي والفني

شعبان: من خلال «وثيقة وطن» سنعمل على توثيق إرث الراحل وسنصدر كتاباً بصوته وكلماته



وزير الثقافة محمد أحمد في كلمته



جانب من الحضور الرسمي

التي امتدت لأكثر من ستين عاماً، أقامت وزارة الثقافة بمناسبة فعالية يوم الثقافة، حفل تأبين للباحث والمؤرخ مكتبة الأسد الوطنية، وتحلل الحفل عرض فيلم وثائقي قصير من إعداد الناقد سعد القاسم، موجزاً محطات وإنجازات وعطاءات قدمها د. بهنسي، وإليك مزيداً من مجريات حفل التأبين.

وكان عضواً في مجلس إدارتها، ثم رئيساً لها بين عامي ٢٠٠٥ و٢٠١٦.

## أوقف الثقافة التوراتية

تحدث د. بهجت قبيسي في كلمة أصدقاء الفقيه عن حادثة مهمة تصدى لها ببنائه وغيرته وحده: د. عفيف «لقد كان دكتور عفيف مارداً ورجلاً، وعندما أوقف الثقافة التوراتية، وتجلي ذلك حينما أتى (جيوفاني بينيتانو) عالم الكتابات المسيحية، ليعلن بأن وجد في إيبلا (اسم إسرائيل، قام د. بهنسي وحيناً متفرداً حينما كنا نيأماً— وأعني نيأماً— كافة، أساتذة في جامعة دمشق وحلب بدأ بالمحاكمة العقلية، فاستدعى الخبراء بالكتابات المسيحية، وأتى بالمتخصصين من العراق، وكان بالنتيجة بأن اعترز جيوفاني، الذي لم يتوقف في محاولاته»، مضيفاً: إن الراحل كان موسوعياً كبيراً نراه في علم السياسة والاقتصاد والحقوق والفن التشكيلي واللغة والأدب، وألف ما يزيد على السبعين كتاباً، لكن أهمها كتابه الأخير الذي أصدره وهو (حكمة العربية)».

## رئيس فخري لجمعية النقاد والباحثين

تطرق رئيس اتحاد الفنانين التشكيليين السوريين الدكتور إحسان العر في كلمته لإرث الفني والعلمي والثقافي والموسوعي الذي تركه د. بهنسي قائلاً: تلك الكتب الفنية التي أتحفنا بها عن تاريخ الفن ومدارسه وتياراته المعاصرة، فضلاً عن أن الفقيه الراحل هو المؤسس والداعم الأساس لحركة الفن التشكيلي المعاصر في سورية، فهو أول نقيب للفنون الجميلة عام ١٩٦٨ وأيضاً من مؤسسي كلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق، ومراكز الفنون التشكيلية في محافظات القطر، تم تكريمه في هذا العام من اتحادنا وتسميته رئيساً فخرياً لجمعية النقاد والباحثين في الاتحاد».

## الأشجار لا تأكل ثمارها بل تطعمها

الدومع خات د. إباد بهنسي— نجل الراحل— الذي لم قد خصه الله دون سواه في جمع عطف الأب ومحبة الأم، فانه منح أي توازناً ما بعده توازن، فكان في القرار أياً حازماً، وفي مجريات الحياة كان يحضني بأعظم ما في الأم من حب وقلب دافئ»، متابعاً: كان دائماً مستعداً لإعطاء وقته وجهده في نقاش أطروحات الطلبة.. والاستماع بأستلهم وكنت أسأله خشية على صحته (١٥/١١)، فكان يجيبني (أن الأشجار لا تأكل ثمارها بل تطعمها).... وهكذا تعلمت بأن حياة الإنسان تكون البقي عند العطاء... وحول ما تعرضت له الآثار السورية في الحرب الإرهابية كان مطمئن القلب، تابع الابن ما كان يقوله الأب: «إن أثارنا— وما دامت في أرضنا— فهي بخير حتى لو كسرت أهدا.. لقد قمنا في الماضي بعمليات ترميم كبرى في الفرات وقلعتي دمشق وحلب ولقعة جعبر ومسرح بصرى وسواها، وبدأتوا بسيطة نحننا في حماية وإعادة آثارنا وبقدرات محلية.. مضيفاً: ما عرفت أبي وآخر لحظة من حياته إلا مكافئاً باحثاً ومتابعاً لتفاصيل الأمور، همه يبدأ من بيته الصغير ويمتد إلى وطنه الكبير»، وختم حديثه «حسناً السيد الرئيس والسيدة الأولى بزيارة تعزية كما كان سيادته دائم السؤال عن الوالد في مرضه».

بالفقدان، الذي عوضه بعطاء كبير، كاسراً قاعدة فاقد الشيء لا يعطيه، إنه العلامة د. عفيف بهنسي، الذي صنع علاقته بنفسه، وبالفاعل جعل من نفسه أسطورة تجمعها كتب الحضارة والتاريخ والتراث السوري، لكونه المرء الذي أطاع العلم وبحث وألف فيه. وافته المنية وغمر جسده الطاهر تراب دمشق محبوبته، التي رفض الابتعاد عنها مهما اشتدت الظروف. وتكريماً لقامته ولسيرته الحافلة

سوسن صيداوي- «ت، طارق السعدوني»

أسطورة، مار د، علاق. صفات اجتمعت بشخص رجل، اعتنق العلم وعاهده منذ نعومة البنان، أن يحصل على أعلى الشهادات مهما كلف الأمر. هذا الرجل حياته لم تكن منمنقة مثل كلماته التي كان يؤلفها كتباً—هذا ظاهراً— ولكن عمق حياته كان مليئاً بالصراع مع الجراح والألم وشعور

## كتاب.. بصوته وكلماته

حضرت المستشار السياسية والإعلامية في رئاسة الجمهورية الدكتورة بدينة شعبان حفل التأبين، وأكدت ضرورة التكاتف كي يبقى العلم الذي قدمه العلامة الراحل منارة تراثها الأجيال القادمة، وخصوصاً— لأنها وبفخر كبير— أخرجت الأبحاث إلى العالم وهي معزة بسوريتهابديمتفها، «العلامة عفيف بهنسي هو موسوعة في العلم والثقافة والفن والترجمة والشعر، ولكن أهم ما في الأمر هو عشقه لوطنه وتجزره في دمشق، وأنه نشر عن حضارة سورية وعن مدينة دمشق وعن العربية، ما يعتر به الإنسان بأكثر من لغة وعلى مستوى العالم، فالراحل كان عالماً من أعلام الثقافة والفن والأدب في سورية، وحيلته خسارة كبيرة للوطن، ولكنه قدم من الأعمال ولا سيما لجامعة دمشق ما نفتخر به الأجيال، ونحن من خلال (وثيقة وطن) قد أعدنا مقابلات مع الراحل الدكتور بهنسي— لحسن الحظ قبل وفاته— وسنعمل على توثيق إرث الراحل لأجيال القادمة، لكي نتعلم منه الصبر والطاعة والولعية، حيث سنصدر كتاباً عن سيرته الذاتية بصوته وكلماته كي يبقى منارة، وحتى لا ننسى هذه التجربة الرائدة والمهمة جداً كجزء من تراثنا وثقافتنا ومدرستنا التربوية».

## قام بعمل تنويري وتنظيمي جبار

في كلمة وزير الثقافة محمد أحمد، عدد مناقب د. بهنسي، مشيداً بعطاءاته النابعة من حبه لوطنه ومن تواضع إنسانيته، مؤكداً نجاحه وبراعته بكل ما بحث، وحتى العمل الإداري لم ينهاروا به، بل بقي منظماً وجميلاً بجمال فن وثقافة الراحل، على الرغم من اشتغالاته المتنوعة «يعز على أن أقف موقف الرائي ومعدد المناقب لفقيدنا الغالي، ولكن تلك هي سنة الكون ودورة الفصول التي تستمر بها دورة الحياة وتتجدد، ولا عزاء لنا سوى أن يترك المرء لنا بيتاً بناه وشجرة زرعها وأبناءه وتلاميذ، أطلقهم إلى العالم كي يواصلوا ما بناه، ونذكر عطراً في أفئدة الحاضنين به وعلى أسننهم، وقد ترك الدكتور عفيف كل هذا وأكثر.. ترك لنا كتباً ودراسات ولوحات ومخطوطات شعر تنم عن وعي عميق وثقافة غنية تأخذنا نحو خانات إلهاء وتنوير نحو الماضي نحو أصول حضارتنا وجذور تاريخنا عالمه يتابع الأول ويثرة الودة.. نعم إن الإنسان هو عالم قائم بذاته ولا يمكن في حال فده أن يعوض، وذلك ورغم الألم، فإننا نبسّم عندما نرى أعماله تعيش وتتفتح بيننا، لم يكن عفيف بهنسي عالماً وباحثاً فحسب، وإنما رجلاً موسوعياً بتنظيم الحركة الأثرية والتشكيلية السورية، كما كان من الرواد الذين لم يعرفوا ترف التفرغ التام للدراسة والبحث العلمي والفني، فقد وقع على كامله عبء إضافي ثقيل هو النظام من أجل تحويل النظريات الفنية والعملية إلى حقائق تقرض نفسها في الحياة، وإل برنامج عمل لشهرها بين الجمهور العريض، لقد كان واحداً من أبناء جيل قام بعمل تنويري وتنظيمي جبار، ومثلما كان في عمله العلمي والبحثي، كان في عمله الإداري مثلاً للفاعل الشرس ضد التسبب والفوضى». مضيفاً: «برحيل الدكتور بهنسي فقد قامت كبيرة وأبناً باراً لوزارة الثقافة، وبرحيله توقف عن الحققان قلب إنسان كان يعشق الفن والتاريخ وعلم الجمال الذي منحه جهده ووقته وضوء عينيه».

## طفل ولكنه صنع رجلاً

يولاً بهنسي ابنة الراحل، اعتلت المنصة متأثرة، وبصوت متهدج بدأت بالكلام، ولكن محبة والدها لم

## إياد بهنسي: حسناً السيد الرئيس والسيدة الأولى بزيارة تعزية كما كان سيادته دائم السؤال عن الوالد في مرضه

تحن شجاعته، بل اعتذرت لعدم قدرتها على كتابة قصيدة تربي بها والدها، وسححت لصق عاطفة البوح أن تتحدث: «والدي أسطورة، هو رجل صنع علاقته، لم يتدخل أي إنسان في صنع عفيف بهنسي، لم يكن هناك أي ركن مساعد لعفيف بهنسي. عفيف بهنسي كان طفلاً، ولكنه صنع رجلاً، كتب على مدرسته (سأحصل على أعلى شهادة مهما كلف الأمر) حنوه لوادته، أشعره بالألم، بألم الفراق، ولم تستشعر تلك الأم بحقيقة الأمر، الظروف منعتهما أن تكون بقربه، وتابعت: «والدي كان دائماً داخل سورية، حتى إنه انزوع تحت ترابها، فاكل يعلم بأنه كان يمكن أن يكون في أي مكان بالعالم، ومكرماً بالمراتب، مضيفاً: «لقد احتفظ بالكثير من الأشياء الشريفة والصادقة في نفسه، وكان دائماً مؤمناً بأنه لا مير لكوننا غير قادرين على فعل المستحيل، وبالفعل أبي الدكتور عفيف بهنسي، فعل وقام بالمستحيل، وكنت استغرب من رؤيته دائماً سعيداً، وأدماً راضياً. كان بالحرب راضياً، بالمرض راضياً، بالألم راضياً، بأي شيء بالحياء. كان دائماً يدعونا للجلس على شرفة المنزل قائلاً (تعالوا لنجلس في الحنة). في عام ٢٠٠٨ كان مكرماً في سورية عبر وزارة الثقافة، وما إن اهتلى المنصة قال: «سيان عندي إن كان تكريماً أم كان تائباً»، في العام الماضي كتبت أنا وأحد إخوتي معه في الكويت حيث كان مكرماً من أمير الكويت، وقال خلال كلمته للحاضرين وقتها: «لقد تطورت دولة الكويت كثيراً، ولكن يجب أن نعلموا بأن حضارتكم جميعاً كعرب هي من سورية، ويجب أن يكون لديكم فخر بهذا البلد». وعن الحرب في سورية كتبت أسأله عن شعوره، فكان يقول لي: «ربما ما يمر على سورية في الوقت الحالي هو أشد وأقسى ما واجهته، وكان دائماً يقين بأنها ستعود أحسن مما قبل»، عن سفرنا ورحيلنا لم يكن لديه أي هاجس، بل كان لديه دائماً عني وعن إخوتي فكرة العودة وفكرة البقاء في سورية وفي دمشق. لقد كتب أبي على مسودة حياته تفاصيل، وما وصل اليكم هو المنيضة التي فيها الكثير من التفاصيل الجميلة، ولكن حياته كانت كلها عراقاً وإماً، وصداماً وفرحاً، وكنت قلت عن شاهدة قبره «لكن هذه الشاهدة موجودة حين سيزرع تحت أرض دمشق. عفيف بهنسي رجل صنع علاقته، وأراد أن يباهي في يوم من أيام السماء أمام الملائكة بخلق له لحليفته على الأرض، فكان نعم الحليفة على الأرض. وكان يوم دفنه للأمة العربية موعد لتوديع حصن عريق، لتوديع رسول الحضارة العربية، سيد دمشقي، ودفن في يوم السبت الياسمين دمشقي جزراً عصياً من جدران دمشق، وكان سلم الشعلة إلى الجيل القادم».

## علاقة الطالب بأستاذ

عميد كلية الفنون الجميلة د. محمود شاهين تحدث عن علاقته بالراحل ويعلاقة كل الأساتذة والطلاب به: «لا بد لي من الإشارة بكل فخر واعتزاز، بانني واحد من طلابه، وتعرفت إليه أول مرة عام١٩٦٨ في كلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق، حيث كان يدرس مقرر تاريخ الفن والعمارة، واستمرت علاقة الطالب بأستاذه حتى

## يولاً بهنسي: بالفعل أبي د. عفيف فعل وقام بالمستحيل.. وكنت أستغرب من رؤيته فهو دائماً سعيد وراض



إياد بهنسي



يولاً بهنسي